من القلب الى امراة مسلمة

للشيخ

ابوعمر احمد بن محمد

النساء متى تركن يمشين في الأسواق بصورة خليعة كاشفة الرأس و الرقبة والصـــدر، تبدي يديها إلى العضـد أو الإبط و رجليها إلى نصف الساق بمرأى من الناس و مسمعبدون أن تنهى و تمنع ، فـإنـه بتكرار النظر إلى هـذا المنكر تزول وحشـــته عن القلوب حتى يكون من المعروف المألوف ، يشب على فعله الصغار و يهرم عليها الكبار .

۞ لهذا ، يجب على النســاء تهذيب أنفســهن و تمرين بناتهن على اللباس الســابغ الســاتر ، حتى تشــب إحداهن على محبته و من شــب على شيء شــاب على حبه و قد أخبر النبي صـلي الله عليه وسـلم : « بأنه من يعش منكم فسـيرى اختلافا كثيرا» و صـدق الله و رسوله ، فقد رأينا اختلافا كثيرا في الأخلاق و اختلافا كثيرا في العقائد و الأعمال .

من هذا الاختلاف أننا مكثنا زمنا طويلا و نحن نرى النساء يتمتعن

بحالة رضية وأخلاق كريمة زكية ، رأيناهن حتى الصغار منهن ، يرفلن في حلل ساترة ، و ثياب واسعة سابغة ، تغطى بها جميع جسمها ، و تغطي بالخمار الساتر جميع رأسها ، و رقبتها ، و قلائدها تعتقد اعتقادا جازما بأنه من واجب دينها ، و أنه شرط لصحة صلاتها ، و أن إسباغ الستر عليها هو عنوان شرفها ، و فضلها ، و علامة مجدها و ظرفها ، فلو رأين من تبدي يديها إلى المرفقين أو الإباط ، و رجليها إلى نصف الساق ، و تمشى حاسرة الرأس ، والوجه والرقبة بغير خمار لابتدرنها بالضرب ، فضلا عن السب ، لحسبنها ساقطة شرف و مروءة ، و عديمة خلق و دين ليست من نساء المسلمين ، لأنها لبسة منكرة ، يمجها العقل ، فضلا عن الدين ، و حتى النصارى على كفرهم ، بدأوا يتراجعون عن هذا اللباس الضيق القصير ، و يدعون نساءهم إلى تستعمال الثياب الواسعة السابغة ، و ينشرون فضلها في مجلاتهم و جرائدهم ، و يصورونها في السينمات و يرغبون نساءهم في استعمالها ، و أنها من أسباب الصحة للجسم ، خصوصا للحوامل وسيكون لهذا التداعي تجاوب ولو بعد حين .۞ و في هذا الزمان ، لما كثر اختلاط النساء المسلمات بالنساء المتفرنجات من نصرانيات وعربيات لا دين لهن و لا خلق ، طفقن يتعلمن منهن هذه اللبسة المزرية القبيحة ، لبسة العرى العار، و لبسة الذل والصغار ، ولبسة المتشبهات بنساء الكفار ، و من تشبه بقوم فهو منهم .

۞ و أخذت هذه اللبسة تسري في بيوت الأسر والعوائل الفاضلة ، يتحلى بها الكبار ، و يتربى عليها الصغار ، على سبيل العدوى والتقليد الأعمى ، والرؤساء و أرباب البيوت ساكتون واجمون ، لا يريدون أن يغيروا شيئا من هذه الأزياء ، من كل ما تشتهيه النساء ، و ساعد على ذلك كثرة ما يشاهدونه من عرض الأفلام الخليعة التي هي من الفتن التي تعرض على القلوب كالحصير ، عودا ، عودا ، فتعمى نور القلب ، و تطفئ نور بصيرته ، بحيث يرى المعروف منكرا، و المنكر معروفا .

فيا معشر النساء المسلمات : إن الله سبحانه شرفكن بالإسلام ، فضلكن به على سائر نساء الأنام ، متى فمتن بالعمل به على التمام ، و أن المرأة بدينها و أخلاقها ، لا بزيها و جمالها. الزمن لباس الشرف و الحشمة ، لباس الظرف والفضيلة ، لباس الحياء و الستر ، و هو اللباس الواسع السابغ ، لباس الجلال و الجمال ، لباس الحياء والوقار ، لباس الحرائر التقيات الأطهار

ولا ينجرف بكن الهوى ، و التقليد الأعمى إلى مشابهة نساء الكفار ، و لا تنخدعن بالدعاة إلى النار، الذين يبغونكم الفتنة و فيكم سماعون لهم ، و يحسنون لكم ما يسوء فعله في حقكم .

فحذار ، حذار أن تكن من نساء أهل النار ، الذين وصفهن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، بأنهن الكاسيات العاريات ، والمائلات المميلات ، لا يجدن عرف الجنة ـ يعنى ريحها ــ فللمسلمة دينها و سترها ، و للكافرة خلاعتها و كفرها ، « و لأمة مؤمنة خير من مشركة و لو أعجبتكم » الآية .

إن في كتاب الله لأعظم مزدجر عن عمل كل منكر ، يقول الله تعالى : « **يا أيها النبي قل لأزواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهم من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين** »

فأمر الله نساء نبيه و نساء المؤمنين ، بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ، والجلباب يشبه الرداء ، أو العباءة ، تغطي به جميع جسمها إلا ما تبصر به الطريق من فتح عينها و نحوه ، و هو من شأن الحرائر ، بحيث يعرفن بالتستر فيحترمن ، و هذا نص قاطع في وجوب ستر المرأة الحرة جميع جسمها حتى وجهها . و في الآية الأخرى : « و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن » . فأمر الله نبيه بأن يبلغ نساءه ، والنساء المؤمنات ، بما يجب عليهن شرعا من آداب اللباس و التستر، بأن يغضضن من أبصارهن عن النظر إلى الرجال الأجانب ، لكون النظر سهم مسموم من سهام إبليس ، و ما نظرة إلا و للشيطان فيها مطمع .

و هو معدود من مقدمات الزنا ، سواء في ذلك الرجل والمرأة ، و لهذا قال بعده: « ويحفظن فروجهن . و في البخاري ، أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : « العينان تزنيان و زناهما النظر، و القلب يتمنى و يشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » ، و لما قال النبي صلي الله عليه وسلم : « لا تلجوا على المغيبات » قال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أ رأيت الحمو ؟ يعنى أقارب الزوج ، قال : « الحمو الموت » ، لأنه ما خلا رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ، كما ثبت بذلك الحديث ، ثم قال : « و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن » . حتى ذكر المحارم .

فنهى الله النساء المؤمنات ، عن إبداء زينتهن للرجال الأجانب إلا المحارم ، فهل يشتبه بعد هذا إبداء تحريم الزينة مع ما هو شر منها من الاختلاط بالشباب الأجانب ، والخلوة بها، أو سفرها لأقصى البقاع و حدها ، لا محل للتردد في تحريم هذا العمل ، و تحريم التعاون عليه والمساعدة لأهله ، و لا في تحريم إقراره و عدم إنكاره .

ثم قال : « و ليضربن بخمرهن على جيوبهن » . و الخمار ؛ هو ما يوضع على الرأس و يدار على الرقبة و الصدر ، و من شرطه أن يستر ما تحته ، و يتأكد ذلك في الصلاة بحيث يجب على المرأة المسلمة أن تستر جميع جسمها في الصلاة ، ما عدا الوجه والكفين ، حتى و لو كانت في غرفة مظلمة ، أو في الليل ، فالله أحق أن يستحيا منه ، و هذا شرط لصحة الصلاة لقول النبي صلي الله عليه وسلم « لا يقبل الله صلاة حائض ــ أي بالغ ــ إلا بخمار » ، أما الخمار الشفاف الرقيق الذي لا يستر ما تحته ، فإن وجوده كعدمه ، فلا تصح الصلاة معه ويرحم الله نساء الأنصار ، لما نزل قوله : « و ليضربن بخمرهن على جيوبهن » .عمدن إلى مروط ثخينة فشققنها على رؤوسهن ، فخرجن و هن لا يعرفهن أحد من التستر . ذكر معناه البخاري في صحيحه.

و في الآية الأخرى : « وقرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى و أقمن الصلاة و آتين الزكاة و أطعن الله و رسول » .إلى قوله : « و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله و الحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا » ، فهذا و الله الخطاب اللطيف ، و التهذيب الظريف ، يأمر الله نساء نبيه ، و نساء المؤمنين ، بالتبع بأن يقرن في بيوتهن ، لأن أشرف حالة المرأة أن تكون قاعدة في قعر بيتها ، ملازمة لمهنتها ، من خياطتها ، أو كتابتها و قراءتها ، أو خدمة بيتها وعيالها ، لا يكثر خروجها و اطلاعها .

لأن ثقل القدم من المرأة في بيتها فضيلة ، و كثرة الدخول و الخروج رذيلة . و قد حكم النبي صلي الله عليه وسلم بين علي و فاطمة ، أن على فاطمة الخدمة داخل البيت ، و على علي جلب ما تحتاجه خارج البيت ، و قد و صف الله نساء أهل الجنة بما تتصف به الحرائر العفائف في الدنيا ، فوصفهن بالبيض المكنون ، ووصفهن بالمقصورات في الخيام .

ثم قال : « و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » . فنهى عن تبرج الجاهلية الأولى ، وهو ما يفعله النساء في هذا الزمان في بعض البلدان ، من كون المرأة تظهر مفاتن جسمها ، و فتبدي يديها إلى العضد أو الآباط ، و رجليها إلى نصف الساق ، و تمشي حاسرة الرأس و الوجه والرقبة ، بغير خمار ، و تلبس عند الناس الثوب الضيق القصير ، الذي يميز أعضاء جسمهافهذا هو تبرج الجاهلية الأولى ، و لم يكن معروفا في نساء المسلمين ، بل و لا في نساء العرب على شركهم ، و إنما كان معروفا من زي نساء النصارى والعجم ،و لما قال رجل للنبي صلي الله عليه وسلم إني أرى نساء العجم بادية صدورهن و وجوههن ، فماذا أفعل ! فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :« اصرف بصرك عنهن» .

❁ و في هذا الزمان ضعف من بعض النساء الإيمان زدن في الخلاعة و التبرج على تكشف العجم النصارى ، و على تبرج الجاهلية الأولى ، و كلما ضعف دين المرأة و فسد خلقها أو غلت في التبرج ، و أخلاق التفرنج ، لأنها ناقصة عقل و دين ، و مشبهة عقولهن بالقوارير وقد ابتليت بهذا الشباب الطائش الذي يفتخر أحدهم بخلاعة زوجته ، تبرجها في الأسواق ، بزيها المزري ، لا يثنيها وجل ، و لا يلويها خجل ، و ربما ذهب بها إلى أصدقائه من الأغيار ، ليمتعهم بالنظر إليها ، و نظرها إليهم ، و يربط الصداقة بينها و بينهم ، و فيوقعها في الفتنة و الافتنان بها وهذا غاية في سقوط المروءة ، و ذهاب الحياء و الغيرة ، لا يصدر مثله إلا من شخص مهين عديم المروءة والدين .

و من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

إن التستر و الصيانة ، هما من أعظم العون على العفاف و الحصانة ، فإن من العصمة أن لا تقدر ، و قد أبدى النصارى ببغيهم الحسد للمسلمين على سترهم لنسائهم ، بثوا من الأفلام الخليعة التي تغزو الناس في قعر دورهم من كل ما يدعو النساء إلى الافتنان ، و يضعف منهن الإيمان ، و قد قيل : حسبك من شر سماعه ، فما بالك برؤيته .

📖 ثم قال : « و أقمن الصلاة و آتين الزكاة و أطعن الله و رسوله » .إلى قوله : « و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله و الحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا » .

فأمر الله نساء نبيه ، و نساء المؤمنين ، بأن يقمن الصلاة ، أي يأتين بها في وقتها ، مقومة معدلة ، بخشوع و خضوع ، في السجود ، و الركوع ، لأن لب الصلاة الخشوع في الركوع والسجود ، و لأن الصلاة من آكد العبادات ، و هي من أكبر ما يستعان بها على حسن تربية البنين و البنات ، لأنها عمود الديانة ، و رأس الأمانة ، تهدي إلى فعل الفضائل ، و تكف عن منكرات الأخلاق و الرذائل ، تنبت في القلب محبة الرب ، و التقرب إليه بطاعته ، و لا إسلام ولا دين لمن ترك الصلاة ، فكل امرأة يدعوها زوجها إلى الصلاة فتعصيه و لا تطيعه ، و تصر على ترك الصلاة ، فإنه يجب عليه فراقها ، لاعتبار أن ترك الصلاة كفر، و الله يقول: « ولا تمسكوا بعصم الكوافر ». « لا هن حل لهم و لا هم يحلون لهن » .

📖 ثم قال « واذكر ما يتلى في بيوتكم من آيات الله و الحكمة » .

فهذه الآية و ما قبلها وردت مورد الخصوص لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومعناها العموم لسائر المؤمنات ، لأن الاعتبار في القرآن هو بعموم لفظه لا بخصوص سببه كسائر نظائره .

و هـذه الآيـة تعتبر من أقوى الدلائل على تعلم المرأة لأحكام الكتاب و الســنة ، و سـائر العلوم الشرـعية ، إذ هي كالرجل في ذلك ، و لأن العلم الصحيح النافع ، يكسبها جميل الأخلاق والآداب و يرقيها إلى الشرــف و الكمال « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ».

و أما ما يذكر عن نهي النساء عن الكتابة ، فإن الحديث مكذوب على النبي صلي الله عليه وسلم و لفظه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة و علموهن المغزل و سورة النور » انتهى . فهذا حديث لا يصح و قد حقق العلماء بطلانه ، و أنه مكذوب على رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فسقط الاحتجاج به ، و قول الحق : هو أن المرأة كالرجل في تعلم الكتابة و القراءة والمطالعة في كتب الدين و الأخلاق وقوانين الصحة ، و تدبير المنزل ، و تربية العيال ، ومبادئ العلوم ، و الفنون من العقائد الصحيحة ، و التفاسير ، والسير ، والتاريخ ، و كتب الحديث والفقه ، كل هذا حسن في حقها تخرج به عن حضيض جهلها ، و لا يجادل في حسنه عاقل ، مع التزام الحشمة و الصيانة وعدم الاختلاط بالرجال الأجانب .

و قد كان لنساء الصحابة والتابعين من هذا العلم الحظ الأوفر ، والنصب الأكبر ، فمنهن المحدثات ، و منهن الفقيهات ، و للمعلماء مؤلفات في أخبار علوم النساء ، لا يمكن حصرها في هذا المختصر ، و حتى المصاحف ذات الخط الجميل في الشام والعراق ، تقع غالبا بخط النساء وكثير منهن يوصفن بالنبوغ و البلاغة غير المتكلفة ، و نحن نشير إلى طرف يسير منها.

من ذلك ، أن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها كان الصحابة يسألونها من وراء حجاب عما يشكل عليهم من الأحاديث و تفسير الآيات ، و عن الأحكام و أمور الحلال و الحرام ، و كانت تستدرك على الصحابة كثيرا من القضايا ، و هي معدودة من حفاظ الصحابة الذين أكثروا من الأحاديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم و هم سبعة : ابن عباس ، و ابن عمر وأنس بن مالك ، و أبو هريرة ، و جابر بن عبد الله ، و أبو سعيد الخدري ، و عائشة بنت أبي بكر، ولا يكون مكثرا حتى يحفظ عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فوق ألف حديث ، و هي كذلك ، وقد اشتهرت بالبلاغة و النبوغ والحفظ ، عن عائشة ، و رواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ،أنها قالت : أنه لما ألقى الدين بجرانه ، ورست أوتاده ، و دخل الناس فيه أفواجا ، و من كل فرقة أرسالا و أشتاتا ، اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه ، نصب الشيطان رواقه ، و مد طنبه ، و نصب حبائله ، فظن رجال أن قد تحققت أطماعهم ، لآت حين الذين يرجون ، و أنى و الصديق بين أظهرهم ، فقام حاسرا و مشمرا ، فجمع حاشيته ، و رفع فطرته ، فرد نشر الإسلام على غره ، و لم شغته بطيه ، و أقام

أوده بثقافته ، فوقذ النفاق بوطئه وانتعاش الدين فنعشه ، فلما أراح الحق على أهله ، و قرر الرؤس على كواهلها ، و حقن الدماء في أهبها ، أتته منيته ، فسد ثلمه بنظيره في الرحمة ، و شقيقه في السيرة والمعدلة ، ذاك ابن خطاب ، لله أم حفلت له ، و درت عليه ، لقد أوحدت به ، فقبح الكفر ، شرد الشرك ، و بعج الأرض ، فقاءت أكلها ، و لفظت خبيئها ، ترأمه و يصد عنها ، و تتصدى له ، و يأباها ، ثم ورع فيها ، و ودعها كما صحبها ، فأروني ماذا تريبون ؟ و أي يومي أبي تنقمون ؟ يوم إقامته إذ عدل فيكم . أم يوم ظعنه عنكم ! و قد نظم لكم أمركم ، أقول قولي هذا و أستغفر الله لي ولكم . انتهى .

فهذه نبذة يسيرة ، تدل الناظر على سعة علم نساء الصحابة ، وما وفقن له من الفصاحة والإصابة ، و مع حسن سبك الكلام المتضمن لجميل البلاغة والبيان ، و أن لهن العناية التامة بتعلم العلوم النافعة ، و تعليمها مع العمل بها .

و قد ظهر أثر بركة علمهن على أخلاقهن ، و حسن آدابهن ، لأنه متى صلح العلم و التعلم صلح العمل ، و إذ فسد العلم و التعلم ، ساء العمل ، و ساءت النتيجة ، لأن من العلم ما يكون جهلا ، و قد استعاذ النبي صلي الله عليه وسلم من علم لا ينفع . و لا يستعيذ إلا من الشر ، فمن العلم الذي لا ينفع ، والذي هو داخل ضمن الجهل .

تعلم المرأة الرقص والغناء ، والتمثيليات السامجة ، التي هي غاية في الكذب ، و تصوير رسم الحيوانات الحية ، ثم يندفع بها سوء علمها ، وفساد عملها ، إلى السفر للتعلم وحدها فتخرج من بيت أهلها متهتكة متبرجة ، تغشى دور الفجور ، و محلات الفسوق ، و مسارح اللهو واللعب ، و الخمور ، و السينمات ، مع تركها للفرائض و الواجبات ، من الصلوات ، لأن هذا
هو منتهى تعلم البنين و البنات في هذا الزمان .

إن الأصل في التعلم الصحيح ؛ هو إصلاح النشء بتربية الأخلاق و الآداب الدينية بما يجعل المرأة صالحة مصلحة ، ثم تعلم العلوم النافعة ، لأن الغرض من تعليم البنات ؛ هو تربية أنفسهن و تهذيب أخلاقهن على المحافظة على الفرائض ، والفضائل ، و اجتناب منكرات الأخلاق و الرذائل ، و هن أقبل الناس لتعليم الدين و الأخلاق ، والخير ، و فيهن أتم الاستعداد للاستماع و الإتباع ، لو وفقن للمعلمين و المعلمات ، المرشدين الصالحين ، الذين يهدون بالحق و به يعدلون .

إن في تعليم الإسلام ما يضمن السعادة و الراحة للبنات ، و لسائر البيوت و العائلات ، لأن دين الإسلام يعلمهن فضيلة الستر و العفاف ، و فضيلة التواضع في المأكل و اللباس ، و ينهى عن المغالاة فيما يسمى بالكمليات ، مما يعد خارجا عن الضروريات ، و يأمر بالاقتصاد في النكاح ، و ينهى عن المغالاة في المهور ، و يقول : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض و فساد عريض » .

و يأمر بالاقتصاد في النفقة بحسن التدبير ، و ينهى عن الإسراف و التبذير ، حتى و لو كان على نهر جار ، و يأمر بالتودد إلى الأرحام و الجيران ، و حسن معاشرة الناس بالإحسان ، و بإفشاء السلام ، و طيب الكلام و ينهى عن إطلاق اللسان باللعن و السب لاعتبار أن الأم مدرسة لأولادها في الخير و الشر فمتى كانت بذيئة اللسان تعلم ذلك أولادها منها ، و صاروا يتقاذفون باللعن فيما بينهم ، ثم تعليمهن النظافة في الجسم و الثياب ، و المنزل و العيال ، و إن النظافة من الإيمان ، و من أسباب الصحة للأبدان .

و الناس يعرفون ظرف المرأة بنظافة جسمها ، و نظافة بيتها ، و عيالها ، و أن أشرف حالة المرأة أن تكون قاعدة في قعر بيتها ، ملازمة لمهنتها ، من خياطتها ، أو مغزلها ، أو خدمة بيتها و عيالها ، لا يكثر خروجها و اطلاعها .

لأن بقاء المرأة في بيتها فضيلة ، و كثرة دخولها وخروجها رذيلة ، و يأمرها برعاية حقوق زوجها ، و حسن صحبته ، معاشرته ، و لزوم طاعته بالمعروف ، وأن لا تكلفه ما يشق عليه من متطلباته بالكماليات التي قد لا يستطيع الحصول عليها إلا بمشقة ، و أن لا تأذن في دخول بيته لمن يكره دخوله من رجل أو امرأة ، و أن لا تخلو مع رجل ليس بمحرم لها .

فهذه هي التعاليم الإسلامية ، والأخلاق الدينية ، التي تجعل المرأة صالحة مصلحة في بيتها وبيئتها ، و حسن تربيتها لأولادها ، و بناتها ، و تجعلها سعيدة في حياتها ، و بعد وفاتها ولا يوفق للعمل بهذه المزايا الفاضلة و الوصايا النافعة ، إلا خيار النساء علما و عقلا ، وأدبا ودينا .

و إنما نكب المسلمون و أصيبوا بالنقص من فساد الأخلاق ، والأعمال كله ، من أجل إهمالهم لحسن تربية أولادهم و بناتهم التربية الدينية النافعة ، التي تجعل المرأة سيدة بيت وسيدة عشيرة .

إن نابتة التفرنج ، وعشاق التبرج ، الذين أضاعوا الصلاة ، و اتبعوا الشهوات ، و خرقوا سياج الشرائع ، و استخفوا بحرمات الدين ، و اتبعوا غير سبيل المؤمنين ، يظنون من رأيهم القصير ، و عزمهم الحقير ، أن الحضارة و التمدن ، والرقي والتقدم ، أنه في تشييد القصور ومعاقرة الخمور ، ومجاراة النصارى في الحرية والخلاعة و السفور ، قد ضربهم من الجهل سرادق ، و من الغباوة أطباق ، و غرهم بالله الغرور .

تالله لقد سلكوا شعاب الضلالة ، و سقطوا في هوات المذلة ، ورضوا بأخلاق المذمة الذي ساقهم إليها ، دلهم عليها ، صريح الجهل ، وسفالة الأخلاق ، و مجالسة الفساق ، فإن داموا على ما هم عليه و لم يعدلوا سيرتهم و لم يرجعوا إلى طاعة ربهم ، صاروا مثالا للمعايب ورشقا لنبال المثالب، سيسجل التاريخ مساوئهم السيئة التي خالفوا بها سيرة سلفهم الصالحين

الذين شرفوا عليهم ، بتمسكهم بالدين ، و طاعة رب العالمين ، فلا أدري من أحق بالأمن إن كنتم تعلمون .نسأل الله سبحانه أن يهدينا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا هو ، و أن يصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا هو ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا، و من همزات الشياطين ، و صلى الله على نبينا محمد ، و على آله و صحبه أجمعين .

المعد

خُلق الإحسان

يقول الأستاذ عمرو خالد إحسان الزوجة في بيتها: من نظافة البيت وتهيئته ومن إعداد الطعام وتربية الأولاد.. الإحسان في اهتمامك بالبيت.. سبحان الله!! من الممكن إعداد الطعام (...) والزوج سوف يأكل بصمت!! ولكن لا.. أحسني في إعداد الطعام...
تخيلي .. كلما ازداد اهتمامك ببيتك، كلما كنت محســنة عند الله، فهل بعد اليوم نرى البيت غير مرتب.. أو نرى الورق هنا وهناك.. وهل بعد اليوم نرى.. لا، انك من اليوم محسنة.

كيف نتخلق بخلق التواضع..!؟

ماذا أفعل لأكون متواضعا.. ليكون التواضع خلقا أصيلا لي؟
وهذه بادرة جيّدة منك الآن.. فانك لا تقرأ لمجرّد القراءة ولكن تقرأ لتفهم ثم تعمل ثم تعلّم..
كان ظني فيك في محله.. أحسبك بخير ولكن لا أزكى لى الله أحد.
أولا: اعرف ربك
ومن الأشياء المعينة على التواضع أن تعرف ربك وتشاهد جلاله في خلقه.. وتعلم أن ربك قدير.. وأنه نعمه لا تحصى.. واشعر بغناه من فقرك.. وبقوته من ضعفك.. وبعزه من ذلك.
وحينها ستعلم من أنت يا مسكين..!؟ فتتواضع لمدبر الأمر خالق السموات والأرض.
ثانيا: التدريب العملي
وبعد أن عرفت ربك.. هيا طبّق ما قرأته عمليّا.. وإياك أن تكون قراءتك للتسلية.. ولكن اجعل قراءتك للفهم والعمل. فابدأ من الآن وكل مع الموظفين البسطاء مرة، كلي مع خادمتك مرة، نظف بيتك، اغسل الأطباق، وقل: (أنا مسؤول عن الأعمال المنزلية اليوم).
قبّل يد أبيك وأمك، اذهب لأقاربك الفقراء، وزرهم واسأل عنهم، لا تستهزئ بأحد أيا كان، اركب المواصلات بدلا من سيارتك يوما، اخرج بملابس جميلة وأنيقة، ولكنها متواضعة مقارنة بلبسك، احمل الحقيبة الثقيلة عن جارك وأوصله إلى البيت، لا تفرح بمن يمدحك، لا تغضب ممن يسيء إليك، تودد لمن هو أقل منك في المستوى الاجتماعي، سلم على بوّاب العمارة واسأله عن صحته وأخبار أولاده.. الخ..

الخلاصة: أفضل وسيلة لجعل التواضع خلقا أصيلا فيك أن تبحث عن أصعب الأشياء عليك.. التي لا ترضى نفسك فعلها. وافعلها.. وسيصبح التواضع لك كالماء والهواء.. لا تستطيع الحياة بدونه.

كيف تعرف أنك أصبحت متواضعا؟

إن كنت تريد معرفة: هل أصبحت متواضعا أم لا؟ فعليك بهذه الوسيلة العملية:
قل لأحد أصدقاءك أو جيرانك أو اولادك أو أقاربك (المهم إنسان تثق فيه) أن يسأل الخادم، يسأل صديقك، يسأل قريبك الفقير، يسأل أمك وأباك، يسأل أي إنسان تعامله:
" ما رأيه فيك؟".
وهنا ستعرف هل أنت أصبحت متواضعا أم لا، واعلم أن بسطاء الناس لن يجاملوك.
وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين
افتحوا قلوبكم.. جددوا نيتكم.. واقبلوا مني هذه الهدية:
" كان النبي صلي الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد ويجلس في أصحابه كأحدهم، وكان يخصف نعليه ويخيط ثوبه، ويعمل بيديه، كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشرا من البشر!؟ يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه، وكان لا يدع احد يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وامائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخادم أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم، ولا يحقّر فقيرا لفقره".
إن أردت أن ترد الهدية..
(فكن متواضعا) تلك هديتي..
وتذكر:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".
اللهم ارزقنا التواضع.. اللهم حبب إلينا التواضع.. اللهم انا نعوذ بك من الكبر.. اللهم كرّه إلينا الكبر.. اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

خُلق الأمانة

يقول الأستاذ عمرو خالد

الأمانة ألف باء الإسلام...

إن خلق الأمانة خلق أساسي في دين الإسلام، خلق نعرفه جميعا، ولكن أناس كثيرون يتعاملون مع خلق الأمانة تعاملا جزئيا، فتجده يقول لك:" أنا أمين.. لا يمكن أن أمد يدي لحاجة الغير، ولو أعطاني أد وديعة لا بد أن أردها له.. لقد تربيت على ذلك" انني لا أختلف معه في ذلك، فأنت ولله الحمد تفهم هذا المعنى جيدا، ولكني في حقيقة الأمر أريد أن أعرض خلق الأمانة بمعنى جيدا، ولكني في حقيقة الأمر أريد أن أعرض خلق الأمانة بمعنى أشمل وأعم من هذا المعنى الضيق إلى نفهمه، فالأمانة أكبر من ذلك.

وقبل البدء في خلِق الأمانة أريدك أن تعلم أنه ليس هدفي أن أعقد لك الأمور، أو أن أقول لك: انظر كيف نضيّع الأمانات.. لا ليس ذلك هو الهدف، ولكن الهدف أن تعلم أن هناك أنواعا كثيرة من الأمانات نحن مقصرون فيها، بل إننا لا نؤديها.

هيا.. إنها دعوة للتغيير إلى الأحسن من خلال خلق الأمانة فهل أنت مستعد..!؟

إياك أن تكون خائنا لله ورسوله..!!

يقول الله عز وجل:{ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ولرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون} الأنفال ٢٧.

كلنا يعلم أن عكس الأمانة هو الخيانة، وكلنا يكره الخيانة ويتأذى منها، وهنا في هذه الآية الكريمة ينهانا الله تبارك وتعالى أن نخون الله.. فما معنى خيانة الله؟ معناها: أن ترك أوامره.. فأوامر الله في أعناقنا، وينهانا الله تبارك وتعالى أيضا أن نخون الرسول صلي الله عليه وسلم .

فما معنى خيانة الرسول؟ معناها أن نعلم سنته ولا نتبعها، ولا ننفذها، ولا ننشرها بين الناس، بل نتركها.

سبحان الله.. ان الأمانة شيء ثقيل فهي ليست هينة.. واني أراك قد لاحظت شيئا وهو تكملة الآية:{ وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون}. بالله..!! إنها ليست أمانة واحدة، بل أمانات كثيرة.

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها

۞ إنني أوصيك عند قراءة القرآن الكريم أن تحرص على تدبره، وأن تحرص على التعايش مع الآيات.. فهيا استعد ونفذ.

يقول الله تبارك وتعالى:{ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها} النساء ٥٨.

هيا نتعايش وانظر الى هذه الكلمات: {الله} و {يأمركم} و {تؤدوا} و { الأمانات} و { اهلها}

سبحان الله.. هيا ائتمر بما أمرك الله به، وهل لاحظت معي كلمة { أهلها}؟ ان أصحاب الأمانات كثيرون، ولذلك عندما نتوغل في أنواع الأمانات ستعرف من هم أهلها الذين يجب أن تؤدي لهم هذه الأمانات.
اننا نريد أنت نتخلص من المفهوم الضيق للأمانة، وهو أمانة الشيء المادي!! ونتطرق الى المفهوم الواسع للأمانة.

استمتع بهذا الحديث..!!
هيا نعيش مع النبي صلي الله عليه وسلم وأحاديثه عن خلق الأمانة، واعلم أن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبل البعثة كانت الصادق الأمين!!.
يقول النبي صلي الله عليه وسلم :" الصلوات الخمس، والجمعة الى الجمعة، واداء المانة كفارة لما بينها".
وهذه الرواية رواها ابن ماجه ٥٩٨، فكلنا نعلم الرواية الأخرى وهي:" الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة، ورمضان الى رمضان كفارة لما بينها" مسلم ٥٥٠ والامام أحمد ٢٢٩١٢.
ما رأيك.. إن أداء الأمانة يكفر السيئات، ألا يستحق ذلك أن تتخلق بخلق الأمانة..!؟

وأدوا إذا ائتمنتم
ويقول النبي صلي الله عليه وسلم :" اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدّثتم، واوفوا إذا عاهدتم، وأدوا اذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم" رواه الامام أحمد ٣٢٣١٥.
سل نفسك بعد قراءتك لهذا الحديث، كم تأخذ من ستة..!؟
إن فعت هذه الستة يضمن لك رسول الله صلي الله عليه وسلم الجنة. ومن هذه الأمور الستة " وأدوا اذا ائتمنتم".
والله إن هذه الأمور الستة بمفهومها الواسع للأمانة ستراهم جميعا أمانة، فان كنت أمينا ضمنت الجنة.
أراك مندهشا.. لا تقلق ستختفي هذه الدهشة بعد قليل.

يا الله نزعت منه الأمانة
واليك هذا الحديث الشديد..خذه مأخذ الجد.يقول النبي صلي الله عليه وسلم :" ان الله عز وجل اذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء، فاذا نزع منه الحياء لم نلقه الا مقيتا ممقتا، فاذا لم تلقه الا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة، فاذا نزعت منه الأمانة لم تلقه الا هائنا

مخوذنا، فان لم تلقه الا خائنا مخوّنا نزعت منه الرحمة، فاذا نزعت منه الرحمة لم تلقه الا رجيما ملعنا، فاذا لم تلقه الا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الاسلام". رواه ابن ماجه ٤٠٥٤.

هل شعرت بصعوبة الكلمات!؟ وانظر الى اختيار النبي صلي الله عليه وسلم لكلمات ثقيلة على الأذن " مقيتا ممقتا" ، " خائنا مخوّنا"، رجيما ملعونا"، جرس هذه الكلمات ثقيل على الأذن، انها مقصودة لبيان أهمية الموضوع..

فسبحان الله..!! انك ترى هذا يحدث بيننا.. فتجد الشاب لا يستحي من أعماله، ولا يشعر أنه وقع في الخطأ.. لقد نزع الله منه الحياء. واستشعر معي هذه السلسلة.. سلسلة الهلاك تبدأ بنزع الحياء، ثم نزع الأمانة، فتجده يخون الناس وهم يخوّنونه.. يا الله!! أصبح إنسانا غير أمين، إنسانا مضطربا، ثم بعد نزع الأمانة تنزع الرحمة فتجده قاسي القلب..

وانك لترى هذه الأمثلة واقعا أحيانا، فتجد البنت تقف في الجامعة وتضحك بصوت عال، وتجدها تصاحب الشباب، حينئذ تقول: لقد نزع منها الحياء، والخطوة القادمة نزع الأمانة.. فاياك أن تنجرف في هذه السلسلة.. إنها سلسلة الهلاك.

لمثل هذا فليعمل العاملون

يقول النبي صلي الله عليه وسلم في حديث الشفاعة:

".. ثم يمر الناس على الصراط، فيرسل الله تبارك وتعالى على جنبتي الصراط الأمانة والرحم، فتقومان فكلما اراد أحد أن يجتاز الصراط تسأله الأمانة: اأديت ما عليك من حقي!؟"...أو كما قال النبي صلي الله عليه وسلم .

هل أنت متخيل ذلك؟ الأمانة وصلة الرحم آخر شيئين تسأل عنهما وأنت على الصراط استحلفك بالله لا تكن خائنا وكن أمينا.. فالموقف يومئذ شديد..{ **لمثل هذا فليعمل العاملون**} الصافات ٦١.

نفاق الأخلاق

يقول النبي صلي الله عليه وسلم :" آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان" رواه البخاري ٣٣ ومسلم ٢٠٨.

وفي رواية مسلم:" وان كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، ومن كان فيه الثلاثة كان منافقا خالصا" البخاري ٣٤ ومسلم ٢٠٦.

إننا لا نقصد هنا نفاق العقيدة، نفاق عبدالله بن أبي بن سلول أو نفاق المنافقين في المدينة بل هو نفاق من نوع آخر، وهو نفاق الأخلاق، وأحيانا يكون هذا النوع اشد من الآخر ويا سبحان الله.. لم يقل النبي صلي الله عليه وسلم لم أن تارك الصلاة كان منهم ولكن قال:

آية المنافق:

إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان.
أيها الأخ الحبيب.. من كان فيه خصلة من هذه الخصال الثلاثة كان به خصلة من النفاق حتى يدعها.. ابعد كل هذا تكون خائنا..!؟
هيا نتخلص من هذه الخصلة.. حتى تكون مؤمنا خالصا.

لا إيمان لمن لا أمانة له

يقول النبي صلي الله عليه وسلم :"لا ايمان لمن لا امانة له".. انه حديث شديد، يبدو ان احاديث النبي صلي الله عليه وسلم عن الأمانة شديدة.. قوية.. حقا ان الموضوع خطير.. فما معنى:" لا إيمان" هل المقصود أنه أصبح غير مؤمن تماما؟ المقصود منها هو عدم اكتمال الإيمان.. فمن كان خائنا فلن يكون إيمانه كاملا.. مهما كان خاشعا في صلاته، حتى لو أدى فريضة الحج، ما دام خائنا فلن يكتمل ايمانهن وتكملة الحديث:" لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له". رواه الامام أحمد ١٣٥\١٣ و ٢١٠\١٣.
والله انها لكلمات توقظ القلب من غفلته.. ألا أيقظت قلبك..!؟ انتهى كلام الأستاذ عمرو خالد
وقلنا مكملين لما لم يذكره نظراَ لعدم موضعه في الحديث :

أخلاق المرأة

في حل الخلافات الزوجية

لم تعلم إلا وهي تهوي مخرجي إليك ، الله رب النساء والرجال وإلههن وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء ، كتب الله الجهاد على الرجال فإن أصابوا أجروا وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون فما يعدل ذلك من النساء ؟ قال : طاعتهن لأزواجهن والمعرفة بحقوقهم وقليل منكن تفعله.(رواه الطبراني و عبد الرزاق في مصنفه).
وهنا نجد أن رسول الله يساوي بين أجر الجهاد في سبيل الله وأجر طاعة الزوجة لزوجها .

زوجات مطيعات

والزوجة التي تعرف واجباتها الدينية تجاه زوجها، على وعي تام بأهمية طاعة الزوج، وتقول السيدة مها جابر: إن على الزوجة أن تسلس قيادها لزوجها فيما يفيد وينفع، حتى تهيئ لأفراد الأسرة أجواء الأمان والحماية والاستقرار والمودة ، وليكونوا أعضاء أسوياء تمضي بهم سفينة الحياة بعيداً عن الهزات التي قد تتعرض لها، وفي المقابل فإن الإسلام قد أعطى المرأة حقها كاملاً وأوجب على الرجل إكرام زوجته وصيانة حقوقها، وتهيئة الحياة الكريمة لها لتصبح له طيعة ومحبة ". أما السيدة منى المؤذن فتقول: "إذا كانت طاعة الزوج قد فرضت على الزوجة كأمر واجب القيام به فما ذلك إلا لأن المسؤولية والتبعية يتحملها الرجل ،

والرجل راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته، كما أنه قد فرض فيه أنه أبعد نظراً وأوسع أفقاً، وأنه قد يعلم أموراً لا تعلمها الزوجة بحكم اتساع دائرته، أو يرى بحكم تجاربه وخبرته ما لا تراه هي ، والزوجة العاقلة هي التي تقوم بطاعة زوجها وتنفيذ أوامره،وتستجيب لآرائه ونصحه برغبة وإخلاص ، فإذا ما رأت فيه ما هو خطأ في نظرها تبادلت معه وجوه الرأي ، وأرشدت إلى موضع الخطأ بلين ورفق واقتناع ، فالهدوء والعبارة اللينة تفعل فعل السحر في النفوس".

وقد تجد آفة الغرور و الاستعلاء طريقها إلى المرأة ، وهنا تقول السيدة عبير مرشد: " في حال وصلت هذه الآفة إلى قلبها فقل على الدنيا السلام ، إذ تصبح الشركة الزوجية مهددة بأخطر أنواع المشاحنات والمنازعات ، فإن الرجل قوام الأسرة بحكم وظيفته التي وهبها الله له، إذا حاولت الزوجة أن تغير من خلق الله وسنته فإن ذلك لن يعود عليها إلا بأضر النتائج ".

وعن طريقة تعامل السيدة لينا الغضبان مع زوجها تقول: " إذا دعاني زوجي إلى طاعة الله والرسول فاستجيب لدعوته من غير تضرر، ففي ذلك النجاة والغفران ، وإذا طلب مني الاحتشام وعدم التبرج فأطيع أمره ، ففي ذلك الفوز والرضوان من الله، ولا يهمني ما درج عليه المجتمع فالله يقول :" وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ". وإذا طلب مني الاعتدال في نفقات البيت أكون معه بقلبي وحبي وإخلاصي فتلك هي أصول الحياة الزوجية التي وضعها الله بالمودة والرحمة، وأعلم أنه عندما يغضب زوجي من أفعالي بعد نصح وتوجيه فإن السماء تغضب لغضبه".

تقول السيدة خديجة حجازي: "إن الطاعة ربما تكون ثقيلة على النفس ، وبقدر استعداد الزوجة للقيام بها والإخلاص في أدائها كان الجزاء بقدرها، فقد ذكر الرسول صلي الله عليه وسلم النساء بخير وبين أنهن يؤدين خدمات لا يمكن لغيرهن القيام بها ويقدمن تضحيات من أعصابهن وأجسامهن ينوء غيرهن بها، فقد خلقن لأداء رسالة سامية ومهمة، ولهن عند الله الأجر وعظيم الثواب، ولن يكمل هذا الأجر إلا بطاعة الزوج وإرضائه وعدم الإتيان بشيء يكرهه.

أما هناء الصالح فتقول :" إن الرجل قوام على الأسرة فهو راعيها ومراقب أخلاقها وشؤونها ، فواجب على جميع أفراد الأسرة طاعته، ثم هو مكلف بأعباء الأسرة والسعي للإنفاق عليها وقضاء حاجاتها، وهكذا نظمت الأسرة على أن يكون لها راع وصاحب أمر مطاع ورعية تسمع وتطيع".

حدود الطاعة

على أن هذه الطاعة المفروضة على المرأة لزوجها ليست طاعة عمياء وليست طاعة بدون قيد أو شرط أو حدود، وإنما هي طاعة الزوجة الصالحة للزوج الصالح النقي، التي تعتمد على الثقة بشخصه والإيمان بإخلاصه والصلاح في تصرفاته

، والطاعة المبنية على التشـــاور والتفاهم تُدعم من كيان الأسرة وأحوالها وتزيد من أواصرها وقوتها، فالمشـاورة بين الزوجين واجبة في كل ما يتصـل بشـؤون الأسرة ، بل إنها يجب أن تمتد إلى كل ما يقوم به الرجل من عمل، فليس هناك كالزوجة المخلصـة الصـادقة مسـتشـار، تعين زوجها وتهديه بعواطفها وتحميه بغريزتها وتغذيه برأيها، وقد كان رسـول الله صلي الله عليه وسلم يستشير زوجاته ويأخذ برأيهن في بعض الأمور الهامة.وقد استشار رسول الله صلي الله عليه وسلم زوجته أم سلمة في أحرج المواقف فكان لمشورتها ورأيها الثاقب أثر كبير في انفراج الأزمة وعودة الأمور إلى مجراها الطبيعي .

وفي النهاية نجد أن الإسلام قد نظم الحقوق الممنوحة لكل من الزوجين، بحيث لو قام بها كل واحد خير قيام لسـعد هو وأسعد من حوله، أما إذا أساء أحدهما استخدام هذا الحق فشلت الحياة الزوجية.

فالحياة الزوجية شركة بين الزوجين، وكما قرر الإسـلام حقوقاً للزوج قرر أيضـاً حقوقاً للزوجة وبين كـذلك الواجبات المفروضـــة على كل منهما ، فإن هما قاما باتباعها خير قيام وعرف كل منهما حقوقه وواجباته كما جاءت في الإسـلام سـعدت الأسرة وأظلتها السكينة وغمرتها رحمة الله.